رفع الإصر

بيان وجوب النصرة - مع القدرة والحاجة-

في مال النساء والصغار والقاعدين لعذر

كتبه

أبو حاتم الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إلـٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:70،71].

أمـــــا بعد:

فيقـــول الله تعـــالى في محكـــم تنزيلـــه: **﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾**[المائدة: ٢].

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي أن كلّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها.

﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه. «التفسير الثمين» لابن عثيمين.

والتعاون على الحق كل بحسبه، على نصرة دين الله عز وجل بما هو مشروع، أمر حث عليه الشارع، حث عليه الله عز وجل وحث عليه نبيه صلى الله عليه وسلم، ولم يأت في الشرع ما يحرم العمل الجماعي من حيث ذاته، سواء في الدعوة إلى الله أو في الجهاد في سبيل الله، أو في غير ذلك من الأمور العظيمة، ومن أنكر التعاون في ذلك فقد أنكر أمرا حث عليه الله عز وجل وحث عليه نبيه ﷺ، وأدلة ذلك كثيرة:

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**».

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمنون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم**».

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» وشبك بين أصابعه.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله**».

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله أخواناً**».

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**».

وفي «الصحيحين» أنه قال ﷺ : «**انْصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، قيل: يا رسول الله، هذا نَصَرْتُه مظلوما، فكيف أنصره إذا كان ظالما؟ قال: «**تحجزه تمنعه فإن ذلك نصره**» أخرجاه من حديث أنس رضي الله عنه.

ولغير ذلك من الأدلة الكثيرة..

فتعاوُنُ أهلِ الحق -كل بحسبه- على إقامة دين الله والدعوة إلى الحق ونشره، ونصرته وأهله، ونبذ الباطل وكسره؛ به ينصر الدين، وتُعْلى كلمته.

قال الإمام ابن خويز منداد في «أحكامه» : (والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه، فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، **ويعينهم الغني بماله**، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة «**المؤمنون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم**»..) «أحكام القرآن للقرطبي» (6/ 47).

وإنما الذي يُنكر على كثير ممن يتبنى العمل الدعوي في الساحة الإسلامية -كما يقال- أنهم اتخذوا لهم أساليب محدثة في أمر التعاون الدعوي وغيره، بإنشاء الجمعيات، وجعل الصناديق في المساجد وغيرها لجمع الأموال، وهكذا التردد في كل مناسبة سانحة على التجار، والتسول لأجل جمع الأموال، واتخاذ ذلك من وسائل الدعوة، وغير ذلك مما هو معلوم من طرقهم.

وهذا أمر منكر لا تُنصَر به الدعوة، ولا ينصر به ديـن الله عـز وجـل؛ لأن الـدعوة بهـذه الكيفيات منهي عنها في الشرع، وغير مأذون فيها..

ومن أدلة ذلك قول الله عز وجل: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَـلْنَاكَ شَـاهِدًا وَمُبَشِّرًـا وَنَـذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**) [الأحزاب:45،46].

فاشترط في أمور الدعوة أن تكون مأذونا بها (**وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ**).

أما التعاون من حيث ذاتُه، على البر والتقوى؛ فهو من الأمور العظيمة التي رغـب فيهـا الشرع، ولا قيام للدين إلا بالتعاون.

ألا وإن من أعظم ما يُتعاون عليه، ويَتواصى المؤمنون به، ويتكاثفون في ذلك: **الجهـاد في سبيل الله.**

وترك الجهاد من أعظم أسباب وهن المسلمين، وتسلط الأعـداء علـيهم، كـما جـاء مـن حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (**إذا تبايعتم بالعينة و أخذتم أذناب البقر و رضـيتم بـالزرع و تركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعـه حتـى ترجعـوا إلى ديـنكم**) أخرجـه أبـو داود وأحمد وهو في "السلسلة الصحيحة" (1/ 15).

والجهاد: بذل الجهد في قتال الكفّار.

ويطلق أيضا على: مجاهدة النّفس، والشّيطان، والفسّاق، والكفّار.

فأمّا مجاهدة النّفس: فعلى تعلّم أمور الدّين ثمّ على العمل بها ثمّ على تعليمها.

وأمّا مجاهدة الشّيطان: فعلى دفع ما يأتي به من الشّبهات وما يزيّنه من الشّهوات.

وأمّا مجاهدة الكفّار: فتقع باليد والمال واللّسان والقلب.

وأمّا مجاهدة الفسّاق، فباليد ثمّ اللّسان، ثمّ القلب.اهـ "فتح الباري" (6/ 5).

و[**جِنْسَ الْجِهَادِ فَرْضُ عَيْنٍ، إمّا بِالْقَلْبِ، وَإِمّا بِاللّسَانِ، وَإِمّا بِالْمَالِ، وَإِمّا بِالْيَدِ؛ فَعَلَى كُلّ مُسْلِمٍ أَنْ يُجَاهِدَ بِنَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ.**

أَمّا الْجِهَادُ بِالنّفْسِ فَفَرْضُ كِفَايَةٍ، وَأَمّا الْجِهَادُ بِالْمَالِ؛ فَفِي وُجُوبِهِ قَوْلَانِ، **وَالصّحِيحُ وُجُوبُهُ؛ لِأَنّ الْأَمْرَ بِالْجِهَادِ بِهِ وَبِالنّفْسِ فِي الْقُرْآنِ سَوَاءٌ...**] "زاد المعاد".

وقد حث الشارع المؤمنين على التعاون على إعلاء كلمته ونصرة دينه بأنفسـهم وأمـوالهم وألسنتهم.

فيجب على المسلم أن يجاهد في سبيل الله بنوع من أنواع الجهاد، بحسب قدرته واستطاعته، وبحسب الحاجة إليه.

وقد ثبت عند أبي داود والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**جاهدوا المشركين بألسنتكم، وأنفسكم، وأموالكم، وأيديكم**).

فأكملهم مرتبة من جمع بين هذه الخصال أجمعها؛ فجاهد بنفسه وماله ولسانه وقلبه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (**وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَمَّلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ كُلَّهَا،** وَالْخَلْقُ مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَفَاوُتَهُمْ فِي مَرَاتِبِ الْجِهَادِ، وَلِهَذَا **كَانَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ خَاتِمَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ؛** فَإِنَّهُ كَمَّلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَشَرَعَ فِي الْجِهَادِ مِنْ حِينَ بُعِثَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) "زاد المعاد".

وأعلى الخصال جهادا، من جاهد بنفسه وبذلها رخيصة في سبيل الله وإعلاء كلمته.

وإذا أطلق جهاد الكفار؛ فهو أخص بالنفس واليد.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وَأَمَّا جِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ؛ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ: بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْمَالِ، وَالنَّفْسِ، **وَجِهَادُ الْكُفَّارِ أَخَصُّ بِالْيَدِ..**) "زاد المعاد".

وقد قال تعالى (**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**) [الأحزاب:6].

وفي صحيح البخاري أن عمر –رضي الله عنه– قال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلي من كل شيء إلا من نفسي؛ فقال: (**لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك**)، قال: فوالذي بعثك بالحق، إنك لأحب إلي من نفسي، قال: (**الآن يا عمر**).

ففي هذه الأدلة بيان أن النفس أعظم ما يقدمه المرء في سبيل نصرة الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (... **المجاهد في سبيل الله أفضل من الذي ينفق المال**) "مجموع الفتاوى" (10/ 114).

وأوضح من ذلك قوله تعالى مقدما الجهاد بالنفس على الجهاد بالمال ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ**﴾.

قال ابن القيم –رحمه الله– مبينا مناسبة التقديم وسببه: (.. ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**﴾ فكان تقديم الأنفس هو الأولى؛ لأنها هي المشتراة في الحقيقة، وهي مورد العقد، وهي السلعة التي استلمها ربها وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد رضاه

وجنته؛ فكانت هي المقصود بعقد الشراء، والأموال تبع لها؛ فإذا ملكها مشتريها ملك مالها...) بدائع الفوائد (1/ 77).

ومع ذلك؛ فإنه يبقى للجهاد بالمال ميزته العظيمة في إعلاء كلمة الله تعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (**والجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس**، ... وذلك لأن الناس يقاتلون دون أموالهم؛ فإن المجاهد بالمال قد أخرج ماله حقيقة لله، والمجاهد بنفسه لله يرجو النجاة لا يوافق أنه يقتل في الجهاد، ولهذا أكثر القادرين على القتال يهون على أحدهم أن يقاتل، ولا يهون عليه إخراج ماله، ومعلوم أنهم كلهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، لكن منهم من كان جهاده بالمال أعظم، ومنهم من كان جهاده بالنفس أعظم) منهاج السنة النبوية (8/ 160).

وقد قدم الله عز وجل في كتابه في بقية المواضع التي قرن فيها الجهاد بالنفس مع الجهاد بالمال، قدّم الجهادَ بالمال على الجهادِ بالنفس؛ لعظم مكانته، ولتوقف الجهاد بالنفس غالبا عليه، كما في قوله تعالى ﴿**انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾ [التوبة:41].

وقال تعالى ﴿**لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ [النساء:96-95].

وقال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

وقال تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ .

وقال تعالى ﴿**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

وأدلة الكتاب والسنة، وقواعد الشرع، تدل على أن العاجز عن الجهاد بنفسه، يجب عليه الجهاد بماله إن قدر.

لقوله تعالى (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) [الأنفال:60].

وقوله (**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) [التغابن:16].

وقوله جل وعلا (**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**) [البقرة:286].

وقوله (**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا**) [الطلاق:7].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**).

وغير ذلك من الأدلة.

وفي القاعدة الفقهية: (**الميسور لا يسقط بالمعسور**).

وهذا عام شامل لكل ذي مال قادر، سواء أموال الرجال، أو النساء، أو الصغار إذا إن كان فيها فضل واحتيج إليها في دفع العدو؛ فإن بذل المال لدفع العدو الصائل قد يكون أوجب في المال من دفع الزكاة المفروضة في مالهم، وخاصة إذا كان الجهاد لدفع العدو الصائل على المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- مبينا ذلك: (**وَمَنْ عَجَزَ عَنْ الْجِهَادِ بِبَدَنِهِ وَقَدَرَ عَلَى الْجِهَادِ بِمَالِهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ الْجِهَادُ بِمَالِهِ**، وَهُوَ نَصُّ أَحْمَدَ فِي رِوَايَةِ أَبِي الْحَكَمِ، وَهُوَ الَّذِي قَطَعَ بِهِ الْقَاضِي فِي "أَحْكَامِ الْقُرْآنِ" فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ عِنْدَ قَوْلِهِ: (**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا**). **فَيَجِبُ عَلَى الْمُوسِرِينَ النَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَى هَذَا: فَيَجِبُ عَلَى النِّسَاءِ الْجِهَادُ فِي أَمْوَالِهِنَّ إنْ كَانَ فِيهَا فَضْلٌ وَكَذَلِكَ فِي أَمْوَالِ الصِّغَارِ وَإِذَا احْتِيجَ إلَيْهَا**، كَمَا تَجِبُ النَّفَقَاتُ وَالزَّكَاةُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَحَلُّ الرِّوَايَتَيْنِ فِي وَاجِبِ الْكِفَايَةِ؛ **فَأَمَّا إذَا هَجَمَ الْعَدُوُّ؛ فَلَا يَبْقَى لِلْخِلَافِ وَجْهٌ؛ فَإِنَّ دَفْعَ ضَرَرِهِمْ عَنْ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْحُرْمَةِ وَاجِبٌ إجْمَاعًا**) الفتاوى الكبرى (5/ 537).

وقال رحمه الله تعالى: (**والعاجز عن الجهاد بنفسه يجب عليه الجهاد بماله** في أصح قولي العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد؛ فإن الله أمر بالجهاد بالمال والنفس في غير موضع من القرآن، وقد قال الله تعالى: (**فاتقوا الله ما استطعتم**)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**) أخرجاه في الصحيحين؛ **فمن عجز عن الجهاد بالبدن لم يسقط عنه الجهاد بالمال**، كما أن من عجز عن الجهاد بالمال لم يسقط عنه الجهاد بالبدن، ومن أوجب على المعضوب أن يخرج من ماله ما يحج به الغير عنه، وأوجب الحج على المستطيع بماله؛ فقوله ظاهر التناقض) مجموع الفتاوى (28/ 87-88).

لذلك دل النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستطع الجهاد بنفسه وبدنه، إلى ما يكون له بديلا لنيل هذا الأجر العظيم؛ فعن زيد بن خالد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا**) متفق عليه.

وتجهيز الغازي: هو تحميله وإعداده بما يحتاج إليه في غزوه وجهاده.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (فإن الغزو يحتاج إلى جهاد بالنفس وجهاد بالمال؛ فإذا بذل هذا بدنه وهذا ماله مع وجود الإرادة الجازمة في كل منهما، كان كل منهما مجاهدا، بإرادته الجازمة ومبلغ قدرته) "مجموع الفتاوى" (10/ 732-733).

فهذا أمر عظيم عباد الله، والله تعالى لم يسو بين من أنفق في وقت العسرة، وبادر بذلك في الأوقات العصيبة، وبين من أنفق في غير هذا الحال، قال الله عز وجل: (**وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**) [الحديد:10،11].

ذلك أن إيمان المرء القوي، يدفعه إلى المبادرة والمسابقة في فعل الخيرات، وقد جاء في مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير**).

ولأن ذلك أيضا من الاستجابة لله ونصرة دينه، والله تعالى يقول: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) [الأنفال:24].

فإن كان من القاعدين لعذر، ولم يكن ذا مال؛ وكان قادرا على الخطابة أو الكتابة لتحريض الناس على الجهاد، وبذل النفس والمال في سبيل الله، كان ذلك هو جهاده الذي يجب عليه، لما مر من الأدلة، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه.

ولحديث (**جاهدوا المشركين بألسنتكم، وأنفسكم، وأموالكم، وأيديكم**).

ومن لم يحصل منه شيء من هذه المراتب، ولم يشارك -بحسب طاقته- ولم يحدث نفسه به، مات على شعبة من شعب النفاق، كما دل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند

مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق**).

وقد ذكر النووي -رحمه الله- في "شرحه على صحيح مسلم" ردا على من خصص مدلول هذا الحديث بزمن النبي صلى الله عليه وسلم، بأن هذا الحديث (**عام، والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف؛ فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق**).اهـ

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (وَالْجِهَادُ هُوَ بَذْلُ الْوُسْعِ، وَهُوَ الْقُدْرَةُ فِي حُصُولِ مَحْبُوبِ الْحَقِّ وَدَفْعِ مَا يَكْرَهُهُ الْحَقُّ، **فَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ الْجِهَادِ، كَانَ دَلِيلًا عَلَى ضَعْفِ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِهِ**) "الفتاوى الكبرى" (5/ 189).

فإذا جاءك يا عبد الله، من يحثك في هذه الأوقات العصيبة، التي يمر بها أسود دعوة أهل السنة في دار الحديث بدماج، الذين هم ذروة حراس هذا الدين في هذا الوقت، وحصول الضرر بهم يعود بالضرر على أهل السنة وعلى المسلمين أجمع، بل على الشجر والدواب؛ فإذا جاءك من يحثك على الإنفاق في سبيل الله لنصرتهم التي هي نصرة دينك، ولنصرة السنة وأهلها على أولئك الحوثيين الرافضة الكفرة الملاعين المعتدين، سبابة رسول الله صلى الله عليه سلم النبي الأمين، والتعاون من أجل ذلك؛ فقد نصحك، ودلك إلى ما فيه خير لك في الدنيا والآخرة، وقد قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه - كما في الصحيحين-: بايعت رسول الله صلى الله عليه و سلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة **والنصح لكل مسلم**.

ومن أعظم النصح لك: أن تُدعى إلى التعاون لحماية بيضة الإسلام، ودفع العدو الصائل عن حملة السنة والدين؛ فإن ذلك من أعظم الواجبات.

فاشتر نفسك يا عبد الله من النار، وأقبل على هذه التجارة الرابحة، واستجب لدعوة الله إليك، التي فيها فلاحك في الدنيا والآخرة؛ فالله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [**التوبة**:111].

ويقول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ***

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف:10-14].

ولا تكن يا عبد الله كمن قال الله فيهم: **﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾** [محمد:38].

نعم -والله- إن أعرضتَ عن هـذا الخـير العظـيم بسـبب شـبه واهيـة، أو تثبـيط مثـبط مخذول، أو بخل وتقديم دنيا فانية؛ فقد فوتت الخير العظيم، وتيقن أن الله سيسخر من جنده من يقوم بهذا بدلا عنك؛ فيحظى بهذا الفوز العظيم.

فلا تكن يا عبد الله من المتثاقلين إلى الأرض إذا ما دُعُـوا إلى الآخـرة، والله تعـالى يقـول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [التوبة:38،39].

ويقول الله عز وجل في كتابه الكريم: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** [آل عمران:180].

ويقول الله في كتابه الكريم: **﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾** [الحديد:7].

ويقول تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾** [فاطر:29،30].

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قـال: قيـل يـا رسـول الله أي النـاس أفضـل؟ فقال: (**مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله**) قال: ثم من؟ قال: (**ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره**) متفق عليه.

وأمر الجهاد بالمال عظيم، ولذلك -كما سلف- جاء الأمر به وبالجهاد [بِالنَّفْسِ فِي الْقُرْآنِ سَوَاء، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) [التَّوْبَةُ:41].

وَعَلّقَ النّجَاةَ مِنْ النّارِ بِهِ، وَمَغْفِرَةَ الذّنْبِ وَدُخُولَ الجَنّةِ؛ فَقَالَ: (**يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهّ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهّ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) [الصّفّ:15].

وَأَخْبَرَ أَنّهُمْ إنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَعْطَاهُمْ مَا يُحِبّونَ مِنْ النّصْرِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ؛ فَقَالَ: (**وَأُخْرَى تُحِبّونَهَا**) [الصّفّ:12]، أَيْ وَلَكُمْ خَصْلَةٌ أُخْرَى تُحِبّونَهَا فِي الْجِهَادِ وَهِيَ: (**نَصْرٌ مِنَ اللهِّ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**).

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنّهُ: (**اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُمُ الْجَنّةَ**) [التّوْبَةُ:110].

وَأَعَاضَهُمْ عَلَيْهَا الْجَنّةَ، وَأَنّ هَذَا الْعَقْدَ وَالْوَعْدَ قَدْ أَوْدَعَهُ أَفْضَلَ كُتُبِهِ الْمُنَزّلَةِ مِنْ السّمَاءِ، وَهِيَ التّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ.

ثُمّ أَكّدَ ذَلِكَ بِإِعْلَامِهِمْ أَنّهُ لَا أَحَدَ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

ثُمّ أَكّدَ ذَلِكَ بِأَنْ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِهِمْ الّذِي عَاقَدُوهُ عَلَيْهِ.

ثُمّ أَعْلَمَهُمْ أَنّ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

فَلْيَتَأَمّلْ الْعَاقِدُ مَعَ رَبّهِ عَقْدَ هَذَا التّبَايُعِ، مَا أَعْظَمَ خَطَرَهُ وَأَجَلّهُ؛ فَإِنّ اللهَ عَزّ وَجَلّ هُوَ الْمُشْتَرِي، وَالثّمَنُ جَنّاتُ النّعِيمِ وَالْفَوْزُ بِرِضَاهُ وَالتّمَتّعُ بِرُؤْيَتِهِ هُنَاكَ، وَالّذِي جَرَى عَلَى يَدِهِ هَذَا الْعَقْدُ أَشْرَفُ رُسُلِهِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ، مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالْبَشَرِ، وَإِنّ سِلْعَةً هَذَا شَأْنُهَا لَقَدْ هُيّئَتْ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَسِيمٍ.

قَدْ هَيّئُوك لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَه فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الْهَمَلِ

مَهْرُ الْمَحَبّةِ وَالْجَنّةِ بَذْلُ النّفْسِ وَالْمَالِ لِمَالِكِهِمَا الّذِي اشْتَرَاهُمَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَمَا لِلْجَبَانِ الْمُعْرِضِ الْمُفْلِسِ وَسَوْمِ هَذِهِ السّلْعَةِ بِاَللهّ؟! مَا هَزُلَتْ فَيَسْتَامَهَا الْمُفْلِسُونَ، وَلَا كَسَدَتْ فَيَبِيعَهَا بِالنّسِيئَةِ الْمُعْسِرُونَ، لَقَدْ أُقِيمَتْ لِلْعَرْضِ فِي سُوقِ مَنْ يُرِيدُ؛ فَلَمْ يَرْضَ رَبّهَا لَهَا بِثَمَنٍ دُونَ بَذْلِ النّفُوسِ؛ فَتَأَخّرَ الْبَطّالُونَ، وَقَامَ الْمُحِبّونَ يَنْتَظِرُونَ أَيّهُمْ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ نَفْسُهُ الثّمَنَ؛ فَدَارَتْ السّلْعَةُ بَيْنَهُمْ، وَوَقَعَتْ فِي يَدِ (**أَذِلّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**) [الْمَائِدَةُ:54].

لَمّا كَثُرَ الْمُدّعُونَ لِلْمَحَبّةِ، طُولِبُوا بِإِقَامَةِ الْبَيّنَةِ عَلَى صِحّةِ الدّعْوَى؛ فَلَوْ يُعْطَى النّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادّعَى الْخَلِيّ حِرْفَةَ الشّجِيّ؛ فَتَنَوّعَ الْمُدّعُونَ فِي الشّهُودِ؛ فَقِيلَ لَا تَثْبُتُ هَذِهِ الدّعْوَى إلّا بِبَيّنَةٍ: (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبّونَ اللهّ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**) [آلُ عِمْرَانَ:31].

فَتَأَخّرَ الْخَلْقُ كُلّهُمْ وَثَبَتَ أَتْبَاعُ الرّسُولِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَقِيلَ: لَا تُقْبَلُ الْعَدَالَةُ إِلّا بِتَزْكِيَةٍ: (**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِّ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**) [الْمَائِدَةُ:54].

فَتَأَخّرَ أَكْثَرُ الْمُدّعِينَ لِلْمَحَبّةِ، وَقَامَ الْمُجَاهِدُونَ؛ فَقِيلَ لَهُمْ: إِنّ نُفُوسَ الْمُحِبّينَ وَأَمْوَالَهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ؛ فَسَلّمُوا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْعَقْدُ؛ فَإِنّ: (**اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُمُ الْجَنّةَ**) وَعَقْدُ التّبَايُعِ يُوجِبُ التّسْلِيمَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

فَلَمّا رَأَى التّجّارُ عَظَمَةَ الْمُشْتَرِي، وَقَدْرَ الثّمَنِ، وَجَلَالَةَ قَدْرِ مَنْ جَرَى عَقْدُ التّبَايُعِ عَلَى يَدْيِهِ، وَمِقْدَارَ الْكِتَابِ الّذِي أُثْبِتَ فِيهِ هَذَا الْعَقْدُ، عَرَفُوا أَنّ لِلسّلْعَةِ قَدْرًا وَشَأْنًا لَيْسَ لِغَيْرِهَا مِنَ السّلَعِ؛ فَرَأَوْا مِنَ الْخُسْرَانِ الْبَيّنِ وَالْغَبْنِ الْفَاحِشِ أَنْ يَبِيعُوهَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ، تَذْهَبُ لَذّتُهَا وَشَهْوَتُهَا وَتَبْقَى تَبِعَتُهَا وَحَسْرَتُهَا؛ فَإِنّ فَاعِلَ ذَلِكَ مَعْدُودٌ فِي جُمْلَةِ السّفَهَاءِ؛ فَعَقَدُوا مَعَ الْمُشْتَرِي بَيْعَةَ الرّضْوَانِ رِضًى وَاخْتِيَارًا مِنْ غَيْرِ ثُبُوتِ خِيَارٍ، وَقَالُوا: وَاللهِّ لَا نَقِيلُكَ وَلَا نَسْتَقِيلُكَ؛ فَلَمّا تَمّ الْعَقْدُ وَسَلّمُوا الْمَبِيعَ قِيلَ لَهُمْ: قَدْ صَارَتْ أَنْفُسُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ لَنَا، وَالْآنَ فَقَدْ رَدَدْنَاهَا عَلَيْكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، وَأَضْعَافَ أَمْوَالِكُمْ مَعَهَا: (**وَلَا تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِّ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ**) [آلُ عِمْرَانَ:169]، لَمْ نَبْتَعْ مِنْكُمْ نُفُوسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ طَلَبًا لِلرّبْحِ عَلَيْكُمْ، بَلْ لِيَظْهَرَ أَثَرُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ فِي قَبُولِ الْمَعِيبِ وَالْإِعْطَاءِ عَلَيْهِ أَجَلّ الْأَثْمَانِ، ثُمّ جَمَعْنَا لَكُمْ بَيْنَ الثّمَنِ وَالْمُثْمَنِ.

تَأَمّلْ قِصّةَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ وَقَدِ اشْتَرَى مِنْهُ صَلّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعِيرَهُ ثُمّ وَفّاهُ الثّمَنَ وَزَادَهُ، وَرَدّ عَلَيْهِ الْبَعِيرَ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ قُتِلَ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ؛ فَذَكّرَهُ بِهَذَا الْفِعْلِ حَالَ أَبِيهِ مَعَ اللهِّ، وَأَخْبَرَهُ أَنّ اللهَّ أَحْيَاهُ وَكَلّمَهُ كِفَاحًا وَقَالَ: (**يَا عَبْدِي تَمَنّ عَلَيّ**).

فَسُبْحَانَ مَنْ الْمَبِيعَ عَلَى عَيْبِهِ، وَأَعَاضَ عَلَيْهِ أَجَلّ الْأَثْمَانِ، وَاشْتَرَى عَبْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ بِمَالِهِ، وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الثّمَنِ وَالْمُثّمَنِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَدَحَهُ بِهَذَا الْعَقْدِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الّذِي وَفّقَهُ لَهُ، وَشَاءَهُ مِنْهُ.

فَحَيّهَــلَا إِنْ كُنْـتَ ذَا هِمّةٍ فَقَدْ حَدَا بِكَ حَادِي الشّوْقِ فَاطْوِ الْمَرَاحِلَا
وَقُــلْ لِمُنَـادِي حُبّهِــمْ وَرِضَـاهُـمْ إِذَا مَا دَعَـا لَبّيْـكَ أَلْفًـا كَوَامِــلَا
وَلَا تَنْظُرْ الْأَطْلَالَ مِنْ دُونِهِمْ فَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى الْأَطْلَالِ عُـدْنَ حَوَائِــلَا
وَلَا تَنْتَظِـرْ بِالسّيْرِ رِفْقَةَ قَاعِــدٍ وَدَعْــهُ فَإِنّ الشّوْقَ يَكْفِيـكَ حَامِــلَا
وَخُذْ مِنْهُمْ زَادًا إِلَيْهِمْ وَسِرْ عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالْحُبّ تُصْبِحْ وَاصِــلَا

وَأَحْيِي بِذِكْرَاهُمْ شِرَاكَ إِذَا دَنَتْ رِكَابُكَ فَالذِّكْرَى تُعِيدُكَ عَامِلَا
وَأَمَّا تَخَافَنَّ الْكَلَالَ فَقُلْ لَهَا أَمَامَكِ وِرْدُ الْوَصْلِ فَابْغِي الْمَنَاهِلَا
وَخُذْ قَبَسًا مَتنْ نُورِهِمْ ثُمَّ سِرْ بِهِ فَنُورُهُمْ يَهْدِيكَ لَيْسَ الْمَشَاعِلَا
وَحَيِّ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ فَقِلْ بِهِ عَسَاكَ تَرَاهُمْ ثَمَّ إِنْ كُنْتَ قَائِلَا
وَإِلَّا فَفِي نَعْمَانَ عِنْدِي مُعَرَّفُ الْأَحِبَّةِ فَاطْلُبْهُمْ إِذَا كُنْتَ سَائِلَا
وَإِلَّا فَفِي جَمْعٍ بِلَيْلَتِهِ فَإِنْ تَفُتْ فَمِنًى يَا وَيْحَ مَنْ كَانَ غَافِلًا
وَحَيِّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى بِهَا كُنْتَ نَازِلَا
وَلَكِنْ سَبَاكَ الْكَاشِحُونَ لِأَجْلِ ذَا وَقَفْت عَلَى الْأَطْلَالِ تَبْكِي الْمَنَازِلَا
وَحَيِّ عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ بِجَنَّةِ الْخُلُودِ فَجُدْ بِالنَّفْسِ إِنْ كُنْتَ بَاذِلَا
فَدَعْهَا رُسُومًا دَارِسَاتٍ فَمَا بِهَا مَقِيلٌ وَجَاوِزْهَا فَلَيْسَتْ مَنَازِلَا
رُسُومًا عَفَتْ يَنْتَابُهَا الْخَلْقُ كَمْ بِهَا قَتِيلٌ وَكَمْ فِيهَا لِذَا الْخَلْقِ قَاتِلَا
وَخُذْ يَمْنَةً عَنْهَا عَلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي عَلَيْهِ سَرى وَفْدُ الْأَحِبَّةِ آهِلَا
وَقُلْ سَاعِدِي يَا نَفْسُ بِالصَّبْرِ سَاعَةً فَعِنْدَ اللِّقَا ذَا الْكَدِّ يُصْبِحُ زَائِلَا
فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقَضِي وَيُصْبِحُ ذُو الْأَحْزَانِ فَرْحَانَ جَاذِلَا

لَقَدْ حَرَّكَ الدَّاعِي إِلَى اللهِ وَإِلَى دَارِ السَّلَامِ النُّفُوسَ الْأَبِيَّةَ وَالْهِمَمَ الْعَالِيَةَ، وَأَسْمَعَ مُنَادِي الْإِيمَانِ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ، وَأَسْمَعَ اللهُ مَنْ كَانَ حَيًّا؛ فَهَزَّهُ السَّمَاعُ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ وَحْدًا بِهِ فِي طَرِيقِ سَيْرِهِ؛ فَمَا حَطَّتْ بِهِ رِحَالُهُ إِلَّا بِدَارِ الْقَرَارِ؛ فَقَالَ: (**انتدبَ اللهُ عزَّ وجلّ لمن خرجَ في سبيله ـ لا يَخرجُ إلا جِهاداً في سبيلي ، وإيماناً بِي وتصدِيقاً برسولي ـ ؛ فهو عليَّ ضامنٌ أنْ أدْخلَه الجنّةَ ، أو أَرجِعَهُ إلى مَسْكنِهِ الذي خرجَ منهُ ؛ نائلاً ما نالَ من أَجْرٍ أو غنيمةٍ.**

والذي نفْس محمّدٍ بيده ! ما من كَلْمٍ يُكْلَمُ في سبيل الله ؛ إلا جاءَ يومَ القيامةِ كهيئتهِ يومَ كُلِمَ ؛ لوْنه لونُ دم ، وريحُه ريحُ مسكٍ. والذي نفسُ محمّدٍ بيدِه ! لولا أنْ أشقَّ على المسلِمينَ ؛ ما قعدتُ خلافَ سَرِيَّة تغزُو في سبيلِ الله أبداً ؛ ولكنِّي لا أجدُ سَعَة فيتبعُوني، ولا تطيبُ أنفُسُهم فيتخلفونَ بعْدي. والذي نفسُ محمّد بيدِه ! لوددتُ أنْ أغزوَ في سبيلِ الله فأُقْتَل ، ثمَّ أغزُوَ فأُقتل ، ثم أغزُوَ فأُقتل) [أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه] ...].اهـ "زاد المعاد".

هذا، وسبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنمت أستغفرك وأتوب إليك